

## المحددات الأنثروبولوجية المفسرة لتوطين البدو من حيث بعدها التنموي

د.دريس سفيان

أستاذ محاضر

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

جامعة الجزائر2

## ملخص الدراسة:

احتل مفهوم البداوة جانباً هاماً على مستوى الأبحاث و الدراسات الاجتماعية و الأنثروبولوجية ، لاسيما تحت تأثير النزعة التطورية التي رأت في المجتمع البدوي تغيراً هادفاً نحو بواكير حضارة إنسانية من شأنها أن تؤدي إلى ما يسمى بالعمولة والتقدم التكنولوجي، وقد اختلفت التناولات الفكرية والنظرية في رؤيتها لظاهرة البداوة والبدو، فهناك من ترى في النمط المجتمعي البدوي تأخراً يستلزم القضاء عليه ، وهناك من تؤيد على ترسيخ العادات والفضائل الإنسانية والقيم الأخلاقية العالية التي تشمل التكافل والرحمة والكرم والعزة والإباء والشجاعة والولاء والبأس والصدق وغيرها من الأخلاق الإنسانية السامية التي تفتقر إليها العلاقات في المجتمعات الصناعية الحديثة؛ سنتطرق في هذه الدراسة لأهم المحددات الأنثروبولوجية المفسرة لعملية التوطين من حيث بعدها التنموي.

## مقدمة وإشكالية الدراسة:

ومن الجدير بالإشارة إلى أن ما يميز حياة البدو هو الحل والترحال وعدم الاستقرار بالمكان، وذلك لأن الموارد التي يتعاملون معها في حياتهم ومعيشتهم تتحرك في الزمان والمكان، فهم يتعاملون مع الحيوان الذي يتحرك و ينتقل في المكان، و مع النبات الذي يتحرك في الزمان، فيتطلب بذلك مسكناً بدوره قابلاً للحركة و الانتقال، و كانت الخيمة من بين الوسائل التي تحقق للبدو التكيف مع هذا النمط من الحياة.

ويشكل مجتمع البدو بالمناطق السهلية بالجزائر من خلال مكوناته وخصائصه جزءاً هاماً من المجتمع الجزائري ويمثل انعكاساً للبيئة الصحراوية، لما تحمله من ظروف بيئية ومناخية شبه جافة و قاسية.

و قد اختلف تصنيف البدو عن غيرهم لاختلاف المعايير و الأسس التي يعتمد عليها في التصنيف، حيث نجد: البدو الرحل، و هم الذين يتخذون من الإبل وسيلة أساسية في حياتهم و الذين يعبرون على أعلى درجات البداوة و عدم الاستقرار، كما نجد البداوة

الغنامة و هم الذين يهتمون برعاية و تربية الأغنام و الماعز و لديهم الرغبة في الاستقرار، حيث يتنقلون حسب وجود المياه و الكلاً في فصل الشتاء و الخريف، و يعتمدون على الزراعة و الرعي كنمط أساسي لمعيشتهم، بحيث يعودون لمنازلهم في فترة الحصاد في نهاية الربيع. (الطاهر، ع. 1954)

يشغل المكان منذ بداية حياة الإنسان عاملاً هاماً في تحديد نوعية الحياة التي يمكن أن يعيشها، والأنشطة التي يمكن أن يقوم بها وقد اختلف مدى تأثير هذا العامل باختلاف الزمان والمكان. (بت بوت ، ح. 1997)

ولعله من المفيد بهذا الصدد أن نشير إلى أن الإنسان اجتماعي بطبعه ويجتمع مع الآخرين فيما بينهم للحصول على ما هو ضروري في حياته ، قبل أن يتدرج في التوصل إلى ما هو بحاجة إليه ثم يصل إلى مرحلة طلب ما هو كمالي بالنسبة له وتعد الظروف الطبيعية من العناصر البارزة التي تؤثر على النشاط البشري وتطوره واختلافه ، وذلك لأنه العامل الرئيسي الذي يكون الحياة النباتية ويحدد مظاهر الارتباط النباتي والحيواني في البيئة الطبيعية.

ومن الجدير بالذكر أن التفكير الاجتماعي الذي اهتم بدراسة نمط المجتمع البدوي وخصائصه، قد أخذ سياقاً تاريخياً هاماً، لاسيما الأثر البالغ الذي خلفته دراسات ابن خلدون الرائدة في علم العمران، والتي وضعت قوانين و أسساً هامة في التمييز بين أهل الحضر و البدو من جهة و فيما يخص بين العلاقة والمكان و طبيعته و ما يتحكم فيه من توجيه لنشاط البشر، و من ثم كيفية تشكيل أنماط الحياة البدوية والزراعية والحضرية، فالعمران البدوي و العمران الحضري لم يظهر في مقدمة ابن خلدون بشكل سكون، باعتبارهما نموذجين لمجتمعين منفصلين و منغلقيين متناحرين، بل أظهرهما في إطار تطور عام ، فالعمران البدوي ليس سوى الدرجة الأولى و العمران الحضري هو الدرجة العليا و الأخيرة . (ابن خلدون ، ع . بدون تاريخ)

وتتخذ عملية تقسيم المجتمع إلى مجتمع بدوي ومجتمع حضري أساساً لأغراض الدراسة العلمية، حيث يعرف المجتمع المحلي للبدو والذي يعد محط دراستنا بأنه: "مجموعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية صحراوية، تنشأ بينهم علاقات إنسانية متبادلة و يترتب على هذه العلاقات وجود جماعات وبحكم الجيرة السكانية والروابط الإنسانية تصبح لهم عادات وقيم وعقائد وتقاليد ومصالح مشتركة حيث أن انتمائهم المحلي هذا، قد يمددهم باحتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية (قباري ، م. 1985)

ومن الجدير بالإشارة إلى أن ظاهرة استقرار البدو ومفهوم التوطن قد اتخذت طابعاً هاماً من وجهة النظر الاجتماعية في ضوء تعريفها بأنها ظاهرة اجتماعية مصاحبة لظاهرة التغير الاجتماعي ، حيث التفاوت في القدرة على التعامل مع مستجدات العصر ومكوناته من تكنولوجيا متطورة ووسائل تقنية متعددة، و التي تعتبر من أهم عوامل جذب استقرار البدو لهذه الحياة الحديثة التي تتمتع بها المراكز الحضرية والمدن، كما أن العوامل الطبيعية القاهرة والاقتصادية من شأنها أن تحدث انقلاباً قوياً في حياة الإنسان البدوي وذلك انتقال نمط عيشه إلى الاستقرار بعدما كان في ترحال دائم بحثاً عن الكلاً والماء. (قباري ، م . 1985).

و من الجدير بالإشارة إلى أن نسبة البدو الرحل في الجزائر، قد تراجعت من 65% قبل الاحتلال الفرنسي إلى 5% بعد الاستقلال (1962)، و استمرت هذه النسبة في التراجع لأسباب سياسية و اقتصادية ( تطبيق الاشتراكية و فرض التعاونيات على البدو الرحل) .

و في هذه المرحلة بالذات، ذهب الكثير من الخبراء الاقتصاديين والأنثروبولوجيا و علماء الاجتماع في تأكيد حتمية زوال ظاهرة البداوة و الترحال من الجزائر، خاصة لما آلت إليه مناطق السهوب من جفاف وتصحر و رعي مكثف، ساهم في ندرة الغطاء النباتي من الحلفة و الشيح (Nacib, y. 1994) و اللذان تعتمدهما كثيرا أغنام البدو الرحل في حلقة رعيهما، فأصبحت البداوة، حسب رأي الباحث صابر محي الدين نمطا شاذا في المجتمع الحديث و قطاعا مختلفا في ضوء الظروف السياسية والاقتصادية و الاجتماعية المعاصرة، غير أن الواقع لا يزال يثبت استمرارية وجود هذه الظاهرة، كما نجد أيضا من المفكرين من يرفض نعت حياة الترحال بالتخلف والحكم عليها بالزوال، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك، حيث يرونها قمة التأقلم والتألف بين الطبيعة و الإنسان؛ وهذا ما يجعلنا نتساءل عن آليات التوطين المساهمة في توطين البدو في المجتمعات العربية؟

#### الأهمية العلمية للدراسة:

- تحديد خصوصيات المجتمع البدوي في المناطق السهبية وضرورة التعامل معها طبقا لهذه الخصوصيات.
- محاولة إبراز التركيب الداخلي والتركيب الوظيفي للبدو، لفهم آليات الاندماج الممكنة في الوسط الحضري.
- التعرف إلى أي مدى أسهمت مظاهر الحداثة والظروف المتغيرة في المجتمع البدوي في إحداث تغييرات ملموسة في طريقة الحياة وأسلوب العيش.
- تحسيس الباحثين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بضرورة دراسة ظاهرة مختلف أبعادها ومحدداتها.
- لفت انتباه الباحثين في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية عن إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث في ضوء معرفة حقيقة التحول والتغير الاجتماعي والانفتاح الإعلامي في ظل العولمة في المناطق السهبية ومدى حقيقة تكيفها مع الواقع الجديد.
- مفهوم التوطين:

يستخدم مفهوم التوطين للدلالة على العمليات التي يراود منها الاستقرار الجماعي و الاقتصادي لمجموعات متنقلة من السكان، توصف بعدم الاستقرار لأسباب متعددة تختلف بين حين و آخر، تبعا لطبيعة الشروط الاقتصادية و الاجتماعية التي تعيشها المجموعات، وتختلف عوامل عدم الاستقرار بين مكان و آخر، أو دولة وغيرها باختلاف البيئة الطبيعية التي يعيش فيها السكان. (القش، م. 1998)

و يرى محي الدين صابر أن التوطين عملية إنشائية متكاملة، تتضمن إحداث تغييرا في الظروف الطبيعية والحضارية القائمة بهدف تنمية الموارد البشرية والاقتصادية ورفع المستوى الاجتماعي وتحقيق التكامل القومي عن طريق إدماج المجموعات البدوية ذات الحضارة الرعوية التقليدية بصورة جماعية في الوحدة السياسية والقانونية والاقتصادية والفكرية للمجتمع.

ولهذا يختلف التوطين عن التهجير البسيط الذي يستهدف نقل السكان من مكان إلى مكان آخر من البادية إلى القرى أو إلى المدن ، لأن التوطين أساسا يعد تغييرا لنمط الحياة ، بينما يكون التهجير تحسينا لنمط الحياة.

وبالتالي فإن التوطين يتخذ تغييرا نوعيا في جوهره بينما يكون التهجير في الغالب تغييرا تدرجيا. فالراعي حين يتوطن توطينا زراعيا يصبح مربّي حيوان ومزارعا أما التهجير فإن الفرد قد يمارس نفس مهنته في ظروف أفضل وبجزاء يكون عليه أكثر عائدا. ( الفوال،ص.1967)

ولقد وردت تعريف عديدة ومختلفة لمفهوم التوطين، فمنها ما يركز على الغاية والهدف من التوطين، ومنها ما يركز على درجة التغير والجوانب المراد تغييرها، وقد عرف على أنه:

-إقرار الجماعة البدوية في وطنها وبيئتها في إطار من تقاليدها وعاداتها وظروفها البيئية المختلفة ، وذلك كله يفرض تهيئة المناخ النفسي والاجتماعي للاستقرار.

-وأنه مجموعة العمليات التي من شأنها أن تتيح للجماعة البدوية مزيدا من الاستقرار والتوطين في نطاق سكاني معين ضمن مسارها العادي، وفي إطار من ظروفها وقيمها ونظامها واحتياجاتها الأساسية خلال فترة زمنية محددة، بغرض إحداث تغيير معين ومتدرج في نمط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية على ضوء خطة مدروسة، وضمن إطار السياسة العامة للدولة.

و بالتالي فإن التوطين يأخذ بعين الاعتبار عادات وتقاليد الإنسان البدوي وهو أيضا ليس عملية عفوية بل يخضع لخطة شاملة لجوانب الحياة البدوية، وهو المعنى الذي تتضمنه التنمية كمفهوم وعملية، والتي تتمثل في مجموعة الجهود الحكومية والشعبية المبذولة عن قصد، وبغرض إحداث نوع من التغيير النامي في حياة الجماعات والمجتمعات ومنها البدوية في إطار من السياسة العامة للدولة ولا يخرج مفهوم البدو في هذا الموضوع عما سبق من التعاريف من حيث الإطار العام الذي ينطلق منه تحديد المفهوم، ولكن البداوة كمفهوم قد يتجاوز الجوانب الشكلية التي كان يعتمد عليها في تحديده بحكم التغيرات التي دخلت على حياة البدويين وجعلتهم أكثر تقبلا لعدد من أنماط الحياة الحضرية ، وبالتالي يصبح التعامل معهم فيما يخص توطينهم ممكنا. (الخشاب ، أ) وذلك وفق خطة مدروسة وضمن إطار السياسية القومية للدولة، وهذا ما يؤدي إلى تعدد آليات التوطين.

## 1- التوطين وسيلة:

فهو وسيلة لغاية وهي إحداث التغير المطلوب في حياة الجماعة البدوية بما يحقق استقرارها وإتاحة الفرصة لها للإدماج ولالإلتحام مع باقي فئات المجتمع الريفي والحضري الأخرى.

**2- التوطين برنامج:**

حيث يرتبط بخطة زمنية معينة وله نطاق مكاني منفذ فيه ، ومجموعة بشرية يستوعبها ويسير وفق الأهداف المحددة وضمن الإطار العام للدولة ويضم هذا البرنامج العديد من الأنشطة التي تتصل بمختلف جوانب حياة الجماعة البدوية وهو فوق هذا يؤدي بمعرفة مختصين على درجة عالية من الكفاءة والخبرة. (الغوال، ص. 1967)

**3- التوطين مجموعة من العمليات:**

بمعنى أنه يسير من مرحلة إلى أخرى ويتدرج باستمرار من موقف إلى آخر ويضم مجموعة من التغيرات التي تنتهي بتحقيق أهداف محددة.

**4- التوطين خطة:**

بمعنى أنه يركز على التخطيط حتى يكون واعيا بمختلف الظروف المحيطة بالجماعة الموطنة الماضية والحالية والمستقبلية حتى تكتب للجهود المبذولة النجاح مع توفر القدرة على مواجهة أية انتكاسات، قد تحدث بصورة فجائية.

**5- التوطين تنمية:**

وذلك بما يتضمنه من إحداث التغيير المقصود في حياة الجماعة البدوية الموطنة وما يشملها هذا التغيير من جوانب اقتصادية و اجتماعية يمكن أن تنعكس في النهاية لا على وجه الحياة البدوية فقط وإنما على حياة المجتمع كله. (الغوال، ص. 1967)

**2- أنواع التوطين:**

بعد أن استعرضنا التعريفات السابقة لمفهوم التوطين ، يمكننا أن نتطرق إلى معانيه من خلال أشكاله و أنواعه المختلفة على الوجه التالي:

**1-2 التوطين الجغرافي:**

فهو يعني الدافع إلى الاستقرار و مراقبة المجموعات التي اتصفت حياتها بالتنقل و الانتجاع ، بما كان يحمله هذا التنقل من الفوضى في العلاقة بالجمال وبما يؤدي إلى ضعف ضبط تلك المجموعات و مراقبتها، فهذا التوطين يتضمن بعده الميداني المرتبط بإجراءات فرض الاستقرار و التثبيت في المكان. (بوطالب ، م 2009)

**2-2 التوطين السياسي:**

ويراد به تحقيق الاستقرار في الاقامة لمجموعات سكانية محددة دون غيرها، بغية جعلها أكثر انتشارا أو أقل ، تبعا لمجموعة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة، و يرتبط هذا المفهوم أحيانا كثيرة بتعبير الاستيطان الذي يهدف إلى إحلال مجموعات سكانية ذات انتماء عرقي أو مذهبي محدد، بدل المجموعات السكانية التي توارثت المكان منذ عصور طويلة، و مثال على ذلك ما حدث في

الولايات المتحدة الأمريكية التي استطاع فيها الوافدون من أوروبا أن يقوموا مقام السكان الأصليين، و يأخذوا مواقعهم بدعم من الدولة وتأييدها، مما دفع السكان الأصليين إلى الابتعاد عن مراكز المدن و مواقع اتخاذ القرار، و العيش في الأطراف بسبب عدم قدرتهم على الاستقرار و الإقامة مع الوافدين، و ساعدت قوانين الدولة و سياستها عل ذلك.

و النموذج الثاني هو الاستيطان اليهودي في فلسطين، الذي يهدف إلى إحلال مجموعات كبيرة من اليهود بدلا من الفلسطينيين، أصحاب المكان الأصليين ذلك أنعد اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين حتى بدايات الحرب العالمية الثانية ، لم يكن جعلهم قادرين على الشروع بإنشاء الدولة بالمعنى المتعارف عليه سياسيا فاندفعت القوى المعنية لدعم الهجرات اليهودية الكبيرة إلى فلسطين بغية تحقيق التفوق العددي لهم من جهة ، و العمل على طرد السكان الأصليين من نسبتهم من جهة ثانية.(القش ، أ. 1998)

## 2-3 التوطين الصناعي:

ويراد به ، القيام بصناعة ما في إقليم معين، بحيث تكون لها أهمية نسبية تفوق الأهمية التي تحظى بها صناعات أخرى في باقي الإقليم ، ويعني التوطين الصناعي أيضا اختيار الموقع الصناعي المناسب للتصنيع، وذلك بتعيين الموقع على المستوى الإقليمي و الموضع على المستوى المحلي.

ويقاس توطين الصناعة في مكان ما بطريقة حسابية مبسطة للحصول على ما يعرف بعامل التوطين ، ويحتسب هذا الأخير على أساي حجم رأس المال المستثمر في البضاعة، ومن أهم العوامل التي تتحكم في توطين الصناعة نجد: السوق و المواد الأولية وقوى العمل و رأس المال.( صالح ، ع. 2001)

## 2-4 توطين الوظائف:

ويشمل بذل كل الجهود الممكنة لجعل الأفضلية في تعيين العاملين لأبناء الدولة نفسهم ، و في مختلف مجالات العمل بغية الوصول إلى مرحلة ، تصير فيها الدولة قادرة على الاعتماد على نفسها كليا دون اللجوء إلى أبناء غيرها من الدول وكذلك مفهوم "توطين التقنية" التي يراد منها العمل على تشجيع المنتجات التقنية المحلية ، و السعي نحو الاعتماد على ما هو محلي ، و الاعتماد على استيراد التقنيات إلا في حالات الضرورة القصوى .(القش ، أ. 1998)

كما تتطلب إدارة توطين الوظائف إيجاد البيئة التي تركز على أهمية العنصر البشري كأحد الأصول الاستثمارية للمنشأة ، فالثقافة التنظيمية للمنشأة و بنائها التنظيمي و ممارسات و سياسات الاختيار و التعيين و تقييم الأداء و المكافآت والخوافز و فرص التعليم ، تؤثر بصورة جوهرية على إدارة توطين الوظائف.(فرحات ، ف. 1994)

## 2-5 التوطين السوسولوجي:

ويقوم على إدماج المجموعة القبلية ، و تختلف الكيانات المتفرعة عنها أو المشابهة لها في المجموعة الوطنية بواسطة وسائل مختلفة هي : الوسائل الأيديولوجية والأخلاقية و الإدارية و السياسية. و يتضمن هذا المعنى عمليات تسريب المشاعر الوطنية إلى الفضاء القبلي تدريجيا ، لصالح المجموعة الوطنية فيكون الهدف هو القضاء على مركّزات المجموعة القبلية القائمة على : التضامن القروي، و التصرف في الملكية العقارية بشكل جماعي ، و الولاء المحلي الجهوي و الصراع مع الأجوار على الخيرات. (بوطالب ، م. 2009)

**2-6 التوطين الاقتصادي:**

ويستخدم فيه أيضا تعبير توطين "رأس المال" للعمل على تقليل حجم الاستثمارات الخارجية واستبدالها بالاستثمارات الوطنية بالقدر الذي يمكن أن يكون ممكنا.

**3-أهداف التوطين :**

يمكن أن نستعرض أهداف عملية التوطين على الوجه الآتي :

**3-1 الأهداف القومية :**

تصفية ما علق بالجماعات البدوية من تقابل وتحاصم وتفكك اجتماعي إلى مجتمع يسعى إلى التماسك ويهدف إلى تحقيق الأمن والطمأنينة الاجتماعية والتكامل الاجتماعي من خلال السعي إلى تغيير النظام القبلي الذي يعتمد على المشيخة إلى نظام المؤسسات الحكومية ، عن طريق تغيير النسق الاجتماعي، فلا تعود العشيرة هي رابط القرابة بل تصبح في الهجرة عدة عشائر، فينجم عنه بما يعرف بوحدة الجوار بدلا من وحدة القرابة.

علاوة على تشجيع ظهور نمط الأسرة النووية بجانب نمط الأسرة الممتدة في ضوء إرشاد النهضة المعاصرة المحلية ( مكي، الج.1962) ، وتقديم البرامج التي تساعد على تهديب العقول والنفوس وإكساب الفرد البدوي عادات وتقاليد وأخلاق جديدة والتبصير بالدين وممارسة فروض هذا الدين الخفيف وتعاليمه وبالتالي فإن عملية التوطين تعمل على إدماج البدو في المجتمع ككل دونما ارتباط أول وآخر بالقبيلة وهذا من شأنه يؤدي إلى اختفاء النعرات القبلية والعصبية ويقوى في ذات الوقت من الوحدة الوطنية للدولة وللوطن العربي ككل.( الفوال، ص. 1967)

**3-2 الأهداف السياسية:**

تتمثل الأهداف السياسية للتوطين في تأمين الحدود السياسية أو تسهيل إقامة مراكز منظمة للدفاع وإجراءات الأمن القومي، على سبيل المثال ما حدث في المجتمع السعودي عندما أصدر الملك عبدالعزيز أوامره بتوطين الإخوان الذين كانوا يؤلفون معظم الجيش على شكل معمرين عسكريين ، وتم توزيعهم على شكل مستعمرات زراعية في نجد و الإحساء، وقد ظهرت بعض المشكلات مثل معارضة شيوخ القبائل لعملية التوطين من أجل الاحتفاظ بسلطانهم، فضلاً عن بعض الشكوك التي ترددت بين البدو من القبائل في قبول تلك العملية ، لكونها عملية تغيير لنمط الحياة شكلاً ومضموناً ووظيفة خوفاً على عاداتهم التي ترسبت في نفوسهم منذ آلاف السنين وخشية سوء الوضع الاقتصادي، ناهيك عن خوف القبائل البدوية من سيطرة سلطة الحكومة ؛ التي تقضي على استغلالية سلطة رئيس القبيلة، وقد تم التغلب على تلك المشكلات فيما بعد ، وبخاصة بتطبيق نماذج التهجير والتوطين للبادية من أجل تحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي في مناطق لم تكن مزدهرة من قبل وخلق النماء في المناطق الجديدة أو المستصلحة وتحقيق التبدل والتحول في نسق القيم والحياة

التقليدية. (سلوى، الخ. 1981)

### 3-3 الأهداف الاقتصادية:

كل دولة في سعيها للتنمية في إطار مواردها وقدراتها الاقتصادية والبشرية تركز على التخطيط ولا شك أن طبيعة البداوة وما تستلزمه من تنقل وعدم استقرار تقلل من كفاءة الخطة الموضوعية للتنمية من جهة وتجعل البدو خارج هذه الخطة من جهة أخرى وتوطين البدو سيجعلهم عنصرا هاما ضمن الخطة القومية للتوطين من خلال ما يلي:

\_\_ توفير الأساس الاقتصادي الملائم لسكان البادية للمعيشة ، حيث يتم استبدال الاعتماد على مياه الأمطار كمصدر للمياه بالاعتماد على مياه الآبار نتيجة الاستقرار في الأرياف.

\_\_ الاهتمام بتطوير الجوانب الرعوية لأنها ثروات طبيعية مهمة ، ولهذا تتلخص أهداف تلك البرامج في توطين البدو وتعليمهم الزراعة وإقامتهم في مناطق زراعية وهذا يتضمن تغييراً لنمط العمل الإنتاجي من الرعي إلى الزراعة، وهذا يعني التحول من الارتحال إلى الاستقرار. (الفاروق ، ع. 1978)

\_\_ العمل على إنشاء مهن أخرى إدارية وخدمائية وتجارية إلى جانب مهنة الرعي وتطويرها من خلال تحقيق الجودة في المجال الرعوي بما يخدم الاقتصاد القومي في ضوء تحسين الإنتاجية الحيوانية.

تحويل نط الملكية الجماعية للأرض إلى نط الملكية الفردية، ومن ملكية المواشي إلى ملكية الأرض والعقار.

\_\_ إلحاق المعاهد الزراعية بالوحدات والمشروعات الزراعية لتدريب أبناء الزارعين في مختلف المناطق الريفية .

\_\_ اندماج البدو تدريجيا في المجتمعات الحضرية للاستفادة من الفرص الاقتصادية التي توفرها الدولة.

( مكى، الج. 1962)

### 3-4 الأهداف الاجتماعية:

إن للنظام القبلي بما له من قيم خاصة ، يخضع البدوي لإجراءات معينة تتعلق بالأمن والقضاء والغزو والسلب وما إلى ذلك وهذه كلها أمور تباعد بين البدوي وبين الإحساس بالأمن والطمأنينة.

فشريعة الصحراء وحدها هي السائدة ، وعلى كل بدوي في حد ذاته وفي نطاق عائلته وقبيلته أن يكون مستعدا للحرب إما عاديا أو مدافعا والتوطين يحد من شوكة هذه النظم ويخضع البدو كلهم لإجراءات أمن وطرق تعامل جديدة ويضمن لهم خدمات ومؤسسات توفر لهم كل احتياجاتهم وتمنحهم إياها بغير حرب أو عناء وتكون النتيجة في النهاية مجتمعا متماسكا متساويا في الحقوق والواجبات. (الفوال ص. 1967)

ولهذا يمكن القول أن عمليات التوطين من الأهداف الرامية إلى ما يلي:

-تحقيق الإنماء الاجتماعي من ناحية ، و ظاهرة التحول والتمدين الاجتماعي ودعمه من ناحية أخرى، لكونها عملية اجتماعية قبل أن تكون مادية أو عمرانية،

-وقد ارتبطت تلك العمليات الخاصة بالتوطين كإطار علمي وموضوعي، بمعالجة الكثير من المشكلات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية، حيث يرتبط عامل نقل السكان من مكان لآخر كجزء من السياسة السكانية التي تتبعها الدولة في إعادة توزيع السكان توزيعاً عادلاً لزيادة رفاهيتهم ورفع الدخل القومي.

-القضاء على كثير من المشكلات الاجتماعية مثل: البعد السكاني والاجتماعي والاقتصادي ، إذ لا بد أن يكون لتلك الآليات مهمة توفير عناصر الاستقرار والاستغلال الاقتصادي المنظم في المناطق التي تمت بها ، ونفذت فيها عمليات التوطين، إذ يأخذ شكل المجتمع البدوي والقومي الذي يتأثر بالامتداد الطبيعي والبشري المتكامل. (الخريجي، ع. 1980)

-تحضير البادية وفق نقل نمط الحياة الحضرية وأساليبها إلى سكانها، وذلك مع تركيز الخدمات الحضرية (التعليم- الصحة- البلدية وغيرها)، مما يجعلها من أسباب اشتداد حركة النزوح من البادية والريف إليها ، وبخاصة ما يقع منها في البادية كجزر سكانية كثيفة وسط محيط خال أو شبه خال من السكان. (الفاروق ، ع. 1978)

### 3-5 الأهداف العسكرية والدفاعية:

يعد التوطين بمعناه ، التعمير بما فيه من استقرار البدو في الصحراء الخالية علاوة على ما يستلزمه هذا التوطين من إنشاء شبكة للمواصلات على اختلاف صورها لتربط أماكن التوطين هذه بمختلف المراكز الحضرية للدولة ، وهذا كله يؤدي إلى حركة دائبة ومنظمة على الحدود وداخل الصحراء ، الأمر الذي يجعل سلطة الدولة على صحراواتها أقوى من جهة ، ومن جهة أخرى زيادة كفاءة هذه الصحراوات لتكون خط الدفاع للوطن كله عند الضرورة. (الفال، ص. 1967)

### 3-6 الأهداف الثقافية:

إكتساب المعرفة والخبرة لمواجهة الظروف القاسية من الحياة وتنمية مهارات الفرد البدوي التي تكون مزودة بالإمكانات البناءة ، ليبدل ظروفها ويخضعها لسيطرته وتوفير التركيب الاجتماعي الملائم لحياة بدوية منتجة نشيطة وسعيدة. (الخريجي، ع. 1980)

**4- أنماط التوطين :**

هناك أنماط متعددة للتوطين، تختلف باختلاف الأوضاع في كل دولة على حدة غير أنها تحمل نفس الخصائص العامة ويمكن حصرها فيما يلي:.

**4-1 التوطين الإجباري "القسري":**

ويقصد به إكراه البدو على الإستيطان بفعل السلطة الحاكمة ، ويتم النوع الأول من هذا التوطين بفعل السلطة عادة من خلال إصدار الأوامر لمجموعة من البدو حتى يستقروا في مكان ما ولا يتدخل في اعتبار هذا النوع من التوطين أن ينتمي المتوطنين إلى نفس العشيرة ، و قد يعيش هؤلاء البدو في تجمعات على هيئة معسكرات في الأراضي المنزرعة ومن أوضح الأمثلة التاريخية لذلك الأمر الذي حملوا لواء الدعوى الوهابية وبلغت مستعمرات هؤلاء الإخوان ما يقرب من مستعمرة في كل من نجد والأحساء ، ويكفي من عيوب هذا النوع من التوطين أنه قائم على القصر من جهة ، علاوة على أنه يضم مجموعات غير متجانسة من البدو من جهة أخرى. (الفوال، ص.1967)

**4-2 التوطين الاختياري " الطوعي":**

ويكون هذا النوع الثاني من التوطين بفعل الطبيعة ، لأن سكان البادية هم الذين قاموا باختيار الأماكن التي يرغبونها ، غير أن الحكومة هي التي تتكفل باتخاذ الإجراءات و التدابير اللازمة للمساعدة والمساندة و القيام بتوفير الخدمات بالتدرج لسكان البدو. (سلوى، الخ. 1981)

كما يطلق على هذا النمط كذلك ب:"التوطين الذاتي" نظرا لتوفر الرغبة الذاتية لسكان البدو في الإستقرار وسعيهم إلى تحقيق هذه الرغبة دون أي إكراه أو جبر من طرف الدولة ، على سبيل المثال: التوطين الذي حدث في إحدى عشائر بن خالد بالأردن ، فقد كانت الرغبة في الإستقرار نابعة من أفراد العشيرة نفسها ، حيث باعوا جزء من ماشيتهم وأخذوا يبنون بيوتا من الحجر بجوار الشارع الرئيسي للمراكز الحضرية ، ولفت عملهم هذا أنظار بعض المؤسسين فساعدوهم بتعمير بركتين رومانيتين مهجورتين وأمكن عن طريق هاتين البركتين توفير المياه اللازمة للعشيرة، خلال فترة الصيف ، ثم وزعت عليهم الأرض المحيطة بموقعهم بعد ذلك وفي الفترة الأخيرة بنيت لهم مدرسة و قد أمدتهم المسئولين باحتياجاتهم من البذور والنباتات المناسبة ، ومارست العشيرة تغيرا حضاريا وانتظم أبنائها في سلك الجندية ، وما رسوا التجارة أيضا ، وسعوا باستمرار إلى تحسين مركز قريتهم الجديدة. (الفوال، ص. 1967)

وأهم ما تبرزه هذه التجربة أن الرغبة الذاتية في الإستيطان يمكن أن توفر أعلى درجات النجاح لأي مشروع من مشروعات

التوطين في البادية وعموما يمكن إبراز أهم العوامل التي ساعدت على نجاح هذه التجربة فيما يلي:

— لم يعد الإعتماد على مياه الأمطار كمصدر للشرب و سقي المواشي وإنما أمسى الإعتماد على مياه الآبار نتيجة للإستقرار.

— تغير النظام القبلي الذي يعتمد على المشيخة إلى نظام المؤسسات الحكومية فالحاكم المحلي ممثلا في الأمير الذي يعين من قبل الدولة.

— مهنة الرعي لم تعد هي المهنة الرئيسية لسكان البدو، وإنما نشأت مهن أخرى إدارية وخدمية وتجارية.

— تغير النسق الاجتماعي، فلم تعد العشيرة هي رابط القرابة ، بل أنه أضحي في هجرة عدة عشائر ظهور ما يعرف بوحدة الجوار بدلا من وحدة القرابة.

— الرغبة الذاتية النابعة من العشيرة نفسها في الاستقرار وتوفير الحرص على نجاح المشروع لديهم.

— حسن اختيار موقع القرية، وتوفير وسائل اتصال ميسرة بين ضواحي العشيرة ومختلف نواحي البلاد مما وفر لأبنائها إتصالا كافيا بغيرهم من فئات المجتمع الحضرية والريفية الأخرى.

— وفر الموقع الممتاز الذي بنت فيه العشيرة قريتها الجديدة ، مصادر متنوعة للرزق منها: الري والزراعة والتجارة ، فضلا عن الإنخراط في سلك الجندية والوظائف العامة للدولة. (الفوال، ص.1967)

## 5- دوافع التوطن:

يعود تحضير المجتمعات البدوية إلى مجموعة من الدوافع التي يمكن حصرها على الوجه الآتي:

### 5-1 دوافع سياسية:

ويكون الدافع لإنشاء هذه العمليات الخاصة بالتوطن منطرف إستراتيجية الدولة من الناحية السياسية والعسكرية وخير مثال على ذلك :إتباع سياسة تعمير سينا بخلق مجتمعات جديدة زراعية و توصيل مياه النيل إليها، تعمير مدينة حلاليب واستخراج بعض الخامات المعدنية من المنطقة المحيطة بها، و تعمير أرض العوينات بها.

### 5-2 دوافع إجتماعية:

وهي التي تتصل بالأساليب الديموغرافية و التي ترتبط بمشكلات السكان من حيث التوزيع و الكثافة و النمو، في حل مشكلة السكان الذي لا يأتي من خلال توفير مسكن ملائم ، و إنما يلزم ضرورة توفير مجتمعات جديدة ، بحيث لا يتأتى على حساب الأراضي الزراعية. (عبد اللطيف ، ر . 2011)

### 5-3 دوافع بيئية:

إن إنشاء مجتمعات جديدة (حضرية) في كثير من دول العالم يعود إلى الدافع البيئي الذي يعتبر مؤثرا قويا و أساسيا حيث أن البيئات الصحراوية تعاني من الجفاف و قلة الأمطار وندرة الأعشاب و الكأ، ولذلك يمكن القول أن توفير بيئة صحية تشمل إعتدال المناخ و توفر المساحات الخضراء تمثل دافعا لإنشاء هذه المجتمعات.(إبراهيم ، أ. 1985)

**4-5 المقومات الأساسية لعملية التوطين:**

إن تحضير المجتمعات البدوية يعد هدفا قوميا تسعى مختلف دول العالم إلى تحقيقه لتحسين حياة سكان البدو من أجل الوصول إلى درجة معتبرة من العيش بطريقة الرفاهية في الحاضر والمستقبل، ويتم ذلك وفقا لمدى توفر المقومات التالية:

**1-4-5 الموقع :**

أي ضرورة اختيار و تحديد موقع مناسب بعد إجراء الدراسات المختلفة ودراسات الجدوى مع الأخذ في الاعتبار جميع عوامل التوزيع الديموغرافي السكاني و العوامل الإدارية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية و العناصر المختلفة للجذب السكاني.

**5- 4- 2 الحجم:**

يجب قبل الشروع في عملية التوطين توفير خدمات البنية الأساسية والخدمات الأخرى الضرورية للسكان، و بالتالي يجب تحديد الحجم الأمثل للسكان الذي يمكن للمجتمع الجديد أن يستوعبهم خلال فترة زمنية محددة.

**3-4-5 التكاليف:**

يجب تحديد المبالغ المطلوبة لإقامة هذه المجتمعات و العمل على تحضيرها وتوفير التمويل اللازم لبناء و إقامة و استمرار و تطوير وتنمية هذه المجتمعات وتشمل هذه التكاليف مايلي:

-تكاليف إقامة خدمة البنية الأساسية مثل: المياه و الكهرباء و الطرق والصرف الصحي و المواصلات و الاتصالات و الأسواق.

-تكاليف الخدمات الاجتماعية و الثقافية و الترويحية و الأمنية.

-تكاليف ونفقات الأنشطة الاقتصادية والصناعية و الزراعية و الرعوية و الخدمات البيطرية و التجارية . (عبد اللطيف ، ر. 2011)

**6- مجالات التوطن:**

ترتبط هذه المجالات وبصفة أساسية بالإمكانيات الطبيعية المتاحة من جهة والعوامل التي مكنت للبدواة من جهة أخرى وهذه المجالات هي:

**6-1 المجال الرعوي:**

يسعى الفرد البدوي أساسا إلى المراعي أينما وجد ويمكن استغلال هذا الحافز لديه - حافز التجوال وراء المرعى عن طريق إنشاء مراعي في المناطق التي تتوفر فيها مصادر المياه.

وبالتالي محاولة توطينهم حول هذه المراعي ومدتهم بأنواع أخرى من الحيوانات علاوة على ما ألفوه منها.

ومن هنا يمكن زيادة ثروتهم الحيوانية مع ما يستتبع ذلك من إقامة بعض صناعات منتجات الألبان وغيرها كغزل الصوف وتعليب اللحوم وصناعة الجلود كل هذا إلى جانب توفير مختلف الخدمات والمرافق لهم.

**6-2 المجال الزراعي:**

ويكون ذلك عن طريق إختيار الأماكن الصالحة ومحاولة توطين أسر من البدو فيها مباشرة أو عن طريق إنشاء مزارع حكومية للفت نظر البدو ووضعهم أمام تجربة ناجحة للإستقرار مع توفير السدود والبذور والآلات المستخدمة في الزراعة وحفر الآبار.

وباختصار توفير كل ما من شأنه نجاح عملية التوطين مع عدم إغفال الظروف القبلية المختلفة ، ومحاولة توطين كل أسرة في نطاق قبيلتها وموالاة الأسر الموطنة بمختلف أرجاءها.( الفوال، ص. 1967) ، و قد إهتمت كثير من دول العالم بإعداد المرأة للنشاط الزراعي فعلى سبيل المثال في تنزانيا، تقوم المرأة بتربية الدجاج و الطيور المنزلية، كما إهتمت الدولة ببرامج تدريب المرأة و بصفة خاصة القيام بعمليات التسميد الذي يخصب و يكثر إنتاج النباتات و الذرة ، كما تقوم المرأة أيضا بتغذية الطيور.

**6-3 المجال الصناعي:**

تعد الإكتشافات البترولية وغيرها في قلب الصحراء وما يرتبط بها من صناعات يمكن أن تتخذ أساسا لتوطين البدو علاوة على ما يمكن إقامته من مشروعات صناعية أخرى في البادية على ما يتوفر فيها من خدمات ومواد أولية ويمكن لكل هذه المشاريع أن تكون منطقة جذب للبدو وبالتالي يتاح المناخ الخصب لتوطينهم، من خلال العمل على نشر الحرف و الصناعات الصغيرة التي يمكن لسكان البدو الإستفادة منها كما تزيد من دخلهم وترفع الإلتزام بينهم.(عبد اللطيف، ر . 2011)

## 4-6 مجال الصيد:

يمكن أن يتخذ البحر مجالا طبييا للتوطين خصوصا بعد أن احترفت بعض الأسر البدوية الصيد ، كما هو الحال في سيناء وقد عاشت بصفة شبه دائمة على شاطئ البحر واعتمدت عليه أساسا لكسب الرزق ، علاوة على ما تقوم به من منصب الشباك لصيد السمك في الخريف. وعلى هذا يعتبر الصيد مجالا هاما من مجالات التوطين وذلك بتنظيم عمليات الصيد ومد البدو بمراكب الصيد الحديثة وتسيير انضمامهم إلى جمعيات تعاونية تقوم بالتسويق والتخزين وتمدهم بالقروض والخبرة والآلات الحديثة عما يمكن أن يتوفر لهذه التجمعات من مختلف أوجه الرعاية (الفوال، ص.1967)، ومثال على ذلك ففي كندا فقد تكون إتحاد الصيادين عام 1921، يتيح لهم الفرصة في استغلال و تنظيم الدخل الخاص بهم وتوفير القوارب و الأجهزة الخاصة بالصيد ، وقد إهتمت الدولة بتنمية التنظيمات التعاونية للصيادين و التي يمكن من خلالها توفير ما يحتاجون من أدوات ، ولقد أعد على نجاح هذه التنظيمات ما تم في القطاع الزراعي وتكوين المزارع التعاونية التي ساهمت في رفع مستوى معيشة الفلاحين الإقتصادية و الإجتماعية. (عبد اللطيف، ر. 2011)

## 7 - بعض محاولات التوطين المحلية :

ارتبطت سياسة توطين البدو في الجزائر بناء على نصوص المتعلقة بتطبيق المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية التي قامت أساسا على مبدأ ترقية سكان الريف والعمل على دمجهم في عملية التنمية.

إن البدوي الذي دفعته الحاجة إلى النزوح إلى المدينة، قد يجد في انتظاره مختلف المشاكل التي تقف في طريق اندماجه في الوسط الجديد الذي هو المدينة، فلا هو قادر على الرجوع إلى وسطه القديم، ولا بقادر على التكيف مع الوسط الجديد (السويدي ، م 1984). وكانت من نتائج النزوح و الإنتقال إلى المراكز الحضرية: إنتشار الأكواخ و البطالة و المباني و المساكن العشوائية التي لا يزال بعضها حتى الآن، وغيرها من المشاكل التي كانت بدورها من العوامل الدافعة إلى إنتهاج أهمية سياسة توطين البدو من طرف الدولة بشكل تدريجي ومخطط.(بوحوش ، ع 1972)

ولهذا وضعت نصوص المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية لهذا الغرض أي تركيز الاهتمام على البدو الرحل، والعمل على ترقيةهم في مختلف الميادين، إلا أن هذا الهدف يصعب تحقيقه ما لم يحدث نوع من الاستقرار في الحياة البدوية ولهذا نصت المادة 71 المتعلقة بتطبيق المرحلة الثالثة من الثورة الزراعية (17 جوان 1975) على ما يلي: " يكون تحضير رعي الماشية محل تشجيع من الدولة ولا سيما بإنشاء القرى الرعوية ، وكانت المرحلة الثانية من (الثورة الزراعية) تستهدف عالم البدو الرعاة ، بقصد إعادة تنظيمهم وتحريرهم من سيطرة طبقة (الموالي) واستغلالها، والحفاظ على الأراضي الرعوية وصونها من الرعي الجائر.

وقد تم فعلاً بناء بعض القرى الرعوية ووزعت بعض المواشي على الرعاة المعدمين، إلا أن التجربة لم تصل إلى أهدافها المتوخاة، فالمالون خافوا على قطعانهم وهرب الكثير منهم خارج القطر، كما أن الرعاة الصغار نظروا بعين الريبة إلى تدخل الدولة في شؤونهم، يضاف إلى هذا أثر سلبي على التجربة أحدثته روح البيروقراطية واللامبالاة التي سبّرت (الثورة الزراعية) من ناحية، والروح الإتكالية وتدني الوعي لدى الفلاحين من ناحية أخرى، حيث نظر أولئك الفلاحون إلى الأرض ووسائل الإنتاج على أنها ملكية (أخرى) من أملاك الدولة، وما هم إلا موظفون يأخذون أجورهم منها، (السويدي ، م. 1984) وقد نجم عن ذلك التغير الإجتماعي إنعكاسات هامة ، وهي:

- التناقض الملحوظ لسكان الأرياف نتيجة عمليات التوطين والنزوح و التعليم.
- عدم ملائمة التخطيط العام للريف مع مشاكله الفعلية.
- لعبت الأمية دورا كبيرا في عرقلة مسار التنمية الإقتصادية والإجتماعية. (رشوان، ع. 1993)
- و عليه فإن ميثاق وقانون الرعي "La charte Pastorale"، قد أشار إلى كيفية التدرج في عملية توطين البدو الرحل، بحيث يحدث ذلك دون ظهور مشاكل حادة خصوصا في الميادين التالية:

1- القضاء على استغلال صغار الرعاة.

2- المحافظة على الوسط السهبي.

3- صيانة المراعي من الاستغلال المكثف وغير المنظم.

4- زيادة نقاط المياه الضرورية.

5- إنشاء التعاونيات الزراعية المتعددة الخدمات بالبلدية (CAPIS) (CAPCS) بحيث كون دور هذه الأخيرة أي تعاونيات المساهمة في بث ودعم روح التعاون بين البدو، والاستفادة من مختلف الخدمات التي تقدمها البلدية مع الإلتزام بتعليمات النظام التعاوني.

كما أن النواة التي تنشأ حولها القرية الرعوية هي المدرسة والمسجد والمركز الصحي، والمركز البيطري ومخزن الأعلاف، وهذه المؤسسات تمثل المركز وتحيط به مساكن المستفيدين، و من الملاحظ أنه حتى سنة 1981 تم إنشاء 63 قرية رعوية أو فلاحية في عشرة ولايات من مجموع 17 ولاية ذات طابع رعوي أو فلاح رعوي، وبعد ذلك فكرت الجزائر في وضع إستراتيجية ضخمة لمحاولة توطين البدو ولكن بطريقة غير مباشرة ، مبررة موقفها في عملية إستصلاح الأراضي السهبية والمتمثلة في إستراتيجية تنمية المناطق.(السويدي ، م. 1984)

8- بعض نماذج توطين البدو في المجتمعات العربية:

8-1- نموذج لتوطين البدو في ليبيا:

ظهرت الحركة السنوسية على مسرح الحياة الليبية خلال القرن 19، ومنذ أن هاجر السنوسي الكبير من المغرب إلى ليبيا مبشرا بدعوته الدينية الجديدة والرامية إلى تخليص المجتمع الليبي من العادات غير الإسلامية والدخيلة، تجمع حوله كثير من الأتباع والمريدين الذين حملوا لواء الدعوة من بعده ، وحيث تطورت الدعوة السنوسية على أيديهم بعد ذلك واتخذت صبغة سياسية وإجتماعية إلى جانب اتجاهها الديني، وعلاوة على كون الدعوة السنوسية حركة منظمة ذات أغراض سياسية و دينية ، فإنها قد استهدفت تنمية القطاع البدوي ، حيث امتدت آثار هذه التنمية فيما بعد حتى شملت المجتمع الليبي كله لدرجة أن الحركة السنوسية أصبحت تمثل نظام حكم في ليبيا (الفوال، ص . 1967).

وقد بلغت زوايا السنوسية الفرعية 121 زاوية تتلقى من زوايتهم الرئيسية التعليمات و الأوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير و توسيع أمر الدعوة في إفريقيا الشمالية كلها، و امتدت زواياها من مصر إلى مراكش ووصلت إلى جنوب الصحراء في السودان و غربا إلى الجزائر ، كما استطاعت هذه الحركة أن تؤسس المدارس التعليمية و الزوايا ، و لم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد إلى النساء والأطفال من الجنسين.(Rinn,L.1884)

وتعود أهمية الحركة السنوسية ، تنمية المجتمع إلا أنها أخذت بعين اعتبارها احتياجات واهتمام الإنسان البدوي فوفرت له:

-الزواية: و تمثل المسجد المبسط ، الذي يمارس فيه الشعائر الدينية بعد أن تم تخلص هذه الشعائر ذاتها من كل ما علق بها من شوائب.

-المدرسة: وهي ذات الفصل الواحد، التي يتعلم فيها صغار البدو أصول الدين وقواد القراءة ومبادئ الحساب.

-المصنع: و هو المكان الذي يضيف مهارة جديدة للبدو تتيح لهم استغلال الخامات الكثيرة في بيئتهم والتي كانت تستغل بطريقة خاطئة.

-المأوى: حيث يتم فيه تقديم الغذاء والشراب لكل غريب مع مراعاة ظروف الصحراء الصعبة وتقاليده البدوية العربية.

-المنتدى: وهو عبارة عن مكان المناقشة الذي يلتقي فيه البدو في أوقات فراغهم ل يناقشوا أمور دنياهم ودينهم حتى يتوصلوا في النهاية ، ويتوجه من الشيخ إلى حل مشاكلهم.

ويضاعف من قيمة ذلك كله إنتقال الخدمة ذاتها إلى حيث توجد القبائل البدوية في باطن الصحراء ، مما يسر للبدو الإنتفاع الكامل بخدمات الزوايا وإلى أقصى حد ممكن، وكانت النتيجة المباشرة لانتقال الخدمة هي إقتناع سكان البدو بهذه الخدمة وحرصهم عليها وتنافسهم في اتباعها لدرجة أن بعض القبائل كانت تبني أكثر من زاوية بملحقاتها في مضاربها المختلفة الشتوية والصيفية.

وقد تم تخصيص لكل زاوية مزرعة وعددا من المتاجر التي كان يتولاها الإخوان وهم أتباع الحركة ، وكانوا يعملون فيها طبقا لنظام محدد فيما بينهم سواء من حيث إدارة المزرعة والمتاجر وتمويلها أو من حيث الإشراف عليها وتقسيم العمل بها.

مهدت الحركة السنوسية إلى القضاء على المنازعات والحروب القبلية وجمعت مختلف القبائل ووحدت بينهم - في نطاق الزاوية- وتمكنت عن طريق التوعية الدينية أن تخفف من حدة النعرة القبلية العصبية فيما بينهم، وأحلت محل ذلك كله التعاون معا لبناء الزاوية وتمويلها والإشراف عليها والانتفاع بخدماتها.

و كان ما يقوم به الإخوان من موالاة شئون الزراعة والتجارة في الأرض المحيطة بزوايتهم، دورا فعالا في تغيير مفهوم العمل اليدوي لدى كثير من البدو وخفف من حدة إزدراءهم له.

كما توفر في الزاوية باعتبارها كنيان ثابت ، مختلف إحتياجات الفرد البدوي، وقد لعبت دورا رئيسيا في تعويده على الإستقرار ومنحه فرصة المقارنة ثم المفاضلة بين الحل والترحال، واستتبع ذلك من تطور في النمط السلوكي والحضاري للبدو نتيجة للاستقرار من جهة، وبمشاهدة الإخوان ومشاركتهم في العمل والتأثر بهم من جهة أخرى. (الفوال، ص.1967)

**8-2 نموذج لتوطين البدو في المملكة العربية السعودية:****8-2-1 مشروع وادي السرحان:**

يقع وادي سرحان في شمال غرب السعودية وعلى الحدود وبين الأردن وبدأت الحكومة السعودية في تنفيذه عام 1959م عقب القحط الذي أصابه وأدى إلى فقدان تسعة أعشار الثروة الحيوانية به، و قد فكرت الحكومة في مشروعات لتحسين أحوال البدو المقيمين به تشجيعاً لهم على الإستيطان في مساحات زراعية على ضفاف الوادي وقامت بتوزيع مضخات بمعدل مضخة لكل ثلاثين مزارعاً وتركب على آبار سطحية حفرت خصيصاً لهذا الغرض، كما قامت الحكومة السعودية بتوزيع بذور البرسيم.

وقد تم تزويد الجماعات الراغبة في الإستيطان بمضخات المياه وبالإرشادات الفنية وتحسين أراضي الرعي وتخزين إحتياجات الأعلاف وغير ذلك من عوامل إستقرار البدو.

**8-2-3 مشروع حوض تبوك:**

ويهدف إلى توطين الجماعات البدوية في المناطق الشمالية عن طريق تزويد هذه المناطق بالمياه وتأهيل الأفراد والجماعات للعمل بالزراعة، والعمل على تحقيق الهدف الأساس من تلك المشروعات، وهو الاتجاه نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بإنتاج المواد الزراعية الكبرى ؛ حتى يتسنى للمجتمع السعودي الاستغناء تدريجياً عن استيراد هذه المواد من الخارج .

**8-2-4 مشروع الفيصل النموذجي للتوطين:**

ومن خلال هذه المشروع تم إنشاء مزرعة للتجارب والإرشاد في منطقة البادية مساحتها مائة فدان، وتم إنشاء مركز لتدريب الفنيين السعوديين على زراعة الصحراء واستصلاح ما يقرب من عشرة آلاف فدان في المنطقة نفسها لتوطين عدد من الأسر في البادية.(الفاروق ،ع.1978)

**8-3 نموذج لتوطين البدو في الأردن:**

في شتاء عام 1962 م قست الطبيعة على المنطقة الجنوبية في الأردن، ولم تكن هذه القسوة متمثلة في جفاف أو جدد، ولكنها تمثلت في عواصف وأمطار وصلت إلى حد سقوط الثلج، الأمر الذي جعل بدو هذه المنطقة في وضع غريب لم يتعودوا عليه، واستدعت مواجهته والتغلب عليه تكاتف كل القوى والجهود الأهلية والحكومية، وبعد انتهاء فترة الحماسة الأولى والتي أمكن خلالها إسعاف البدو بالكثير من التبرعات والمساعدات العينية الأخرى، بعد انتهاء فترة الإغاثة هذه، بدأ التفكير في أول مشروع علمي من مشاريع تنمية البادية الأردنية.

- ويمكن تلخيص خطوات هذا المشروع فيما يلي:

1- بعد حملة التبرعات أمكن توفير المال اللازم وشكلت لجنة من المختصين واتخذت قراراً بإنشاء قرى نموذجية لسكنى البدو.

2- بدأت الدراسات المختلفة اللازمة لتنفيذ هذا المشروع، وتولت القوات المسلحة الأردنية مسئولية التنفيذ بواسطة مديرية المصانع والأبنية والأشغال.

3- تم اختيار مواقع القرى الجديدة بحيث تكون:

أ- قريبة طرق المواصلات الرئيسية.

ب- قريبة، أو حول الينابيع والآبار ضمانا لوفرة المياه.

ت- أماكن التوطين الجديدة تكون حول الأرض ذات التربة التي تسمح بالاستغلال الزراعي الجيد ضمانا لنماء هذه القرى مستقبلا.

وقد أعدت التصميمات الهندسية اللازمة لهذه القرى على أسس اجتماعية واقتصادية مدروسة وبحيث تضم: بيوتا للسكن ومساجد للصلاة و سوقا تجارية وعيادة صحية ومدرسة و مركزا اجتماعيا ، وذلك بغرض رعاية البدو اجتماعيا وتجهيزهم للحياة الجديدة ومساعدتهم على التغلب على كل المشكلات التي تعترض تكيفهم مع الأوضاع الجديدة.

#### 8-4 نموذج لتوطين البدو في السودان:

هذا المشروع هو أحد المشاريع الهامة التي بدأ في تنفيذها عام 1923م من أجل تنمية البادية السودانية، وارتبط مشروع القاش بقبيلة الهدندوه واستطاع أن يجمع حوله حوالي 12000 عائلة خصص لهم 70% من مجموع الأراضي المروية والتي يبلغ مساحتها حوالي 400 فدان صالحة للزراعة بينما يبلغ مجموع دلتا نهر قاش حوالي 700 ألف فدان.

وارتكز مشروع قاش أساسا على زراعة محصول القطن، وهو بهذا يعد مشروعا اقتصاديا إلا أنه ساهم إلى حد كبير في حل المشكلات البداوة السودانية بتوفير الاستقرار أمام جزء كبير من قبيلة الهدندوه، وذلك لما تتطلبه طبيعة الزراعة، وزراعة القطن بالذات من عناية خاصة ورعاية مستمرة وإلا تعرض المحصول للضياع.

ومنا هنا اضطر الإنسان البدوي إلى الاستقرار كان كذلك خوفا منه على محصوله، أو تحت ضغط ظروف الطبيعة كقلة الأمطار ونفوق الماشية، أو بتوجيه من السلطة الحاكمة كجهاز معني بالمشروع ومهتم بأمر نجاحه.(الغوال،ص. 1967)

## الخاتمة:

لقد عملنا من خلال هذه الدراسة على إبراز أهمية معالجة قضية توطين المجتمعات البدوية على نحو يكشف أهدافها و مجالاتها خاصة الرعوية و الزراعية باعتبارهما عاملين أساسيين في دراستنا، ولكن الذي نود أن نبرزه هو أن المعالجة التي إنطوى عليها هذا الفصل، تطرح تصورا محددًا لتنمية المجتمع البدوي الذي يعد عملية إجتماعية مقصودة ، شرط أن تتناسب البرامج القائمة مع الحاجات الأساسية لسكان البدو ، في ضوء سير عملية التوطين في خطوط متوازنة مع المستوى القومي، فكثير من سكان البدو المستقرين في المراكز الحضرية يعانون من مشاكل تعود إلى إصلاح لأراضي و تحسين المسكن العشوائي، وهذه المشاكل لا يمكن حلها إلا ببرامج مدروسة بدقة و شاملة على المستوى القومي.

## قائمة المراجع:

- إبراهيم ،أحمد حسن.(1985). المدن الجديدة بين النظرية و التطبيق، ذات السلاسل للطباعة والنشر ، الكويت .
- ابن خلدون.( بدون تاريخ).المقدمة، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، الجزء الأول.
- الخرجي، عبد الله .(1980). بعض تجارب التنمية في الوطن العربي ، دراسة لعمليات التهجير و التوطين جدة ، دار الشروق.
- السويدي ،مُجد .(1984). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- الطاهر ، عبد الجليل .(1954). البدو و العشائر في البلاد العربية ، القاهرة ، مصر، معهد الدراسات العربية العليا ، جامعة الدول العربية.
- الفاروق ، عمر.(1978). دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، جدة ،المملكة العربية السعودية، دار الشروق .
- الفوال ،صلاح مصطفى .(1967).البادوة العربية والتنمية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة.
- القش مُجد أكرم.(1998).الموسوعة العربية، سوريا.
- بت بوت، حمادي .(1997). توزيع السكان و الهجرة الداخلية في الوطن العربي
- بوحوش ،عمار.(1972). العمال الجزائريين في فرنسا، دراسة تحليلية ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية .
- بوطالب ، مُجد نجيب .(2009). سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، بيروت ، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية .
- رشوان ، عبد الحميد أحمد .(1993). دور المتغيرات الاجتماعية في الطب و الأمراض ، دراسة في علم الاجتماع الطبي، الإسكندرية ، مصر ،المكتب الجامعي الحديث .
- صالح ،حسن عبد القادر.(2001). مدخل الى الجغرافية الصناعية، الاردن، دار الشروق.
- عبد اللطيف، رشاد أحمد.(2011). التنمية المحلية، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- فرحات، فاروق أحمد.(1994). التوطين و الإحلال في دول الخليج العربي، الرياض، المركز السعودي للتنمية الإدارية و الفنية.
- قباري، مُجد اسماعيل.(1985). علم الاجتماع الحضري و مشكلات التهجير و التغير والتنمية، الاسكندرية ، مصر ،منشأة المعارف.

-مكي، الجميل. (1962). البداوة و البدو في البلاد العربية ،دراسة لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ووسائل توطينهم، القاهرة، سرس الليان .

-سلوى ،عبد الحميد الخطيب.(1981). توطين البدو في المملكة العربية السعودية، دراسة سوسيوانثروبولوجية لهجرة الغطف، جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الاجتماعية.

-Nacib (Y). (1994). **Une geste en fragments: Contribution à l'étude de la légende hilalienne des Hauts-Plateaux Algerians**, Paris, Editions Publisud.

-Rinn (L). (1884). **Marabouts et Khouans Étude sur l'Islam en Algérie**, Alger, Librairie Adolphe Jourdan.